الحرب اللاأخلاقية على «الحـ

تشتهر زراعة الحشيش في مناطق معيّنة تتوافر فيها صفات الارتفاع والشمس مثل البقاع. هذه الميزة التفاضلية للبنان، التي يمكن أن تنعش الريف اللبناني قضت عليها سياسات الزراعة البديلة المطلوبة من الخارج. علماً أن المحاذير الصحية لاستخدام الحشيشة ضيئلة مقارنة بالكحول والتبغ. ومقارنة بما ينتج من الحرب على زراعتها التي لا تطاول إلا الطبقات الفقيرة في المجتمع

ميزات القنّب في الاستعمال الطبي حقيقية جداً (هيثم الموسوي)

عامر محسن

منذ سنوات قليلة، شنّت منظّمات لبنانية، من بينها حركات يسارية، حملة إعلامية تحذّر من الحشيش ومخاطر انتشاره بين الشباب. النية خلف الحملة كانت نبيلة، غير أنها عانت من مشكلتين؛ تتعلّق الأولى بالادّعاءات الطبية التي رافقتها، المشابهة للدعاية التي انتشرت في أميركا الأربعينيات للتخويف من الماريجوانا، من نوع انها ستصيبك بالجنون وتجعلك تقفز من النوافذ، وتسبب الانحراف والجريمة. أمّا المشكلة الكبرى، فكانت في العقلية المركزية . البيروتية التي جعلت حركات يسارية، تدّعي الالتصاق بهموم الشعب والمهمّشين، تعمل على مكافحة الحشيشة وتجريمها بدلاً من المطالبة بتشريعها ورفع المنع عن زراعتها.

الموضوع ليس تفصيلاً، فلا شيء يظهر تجاهل – بل احتقار – الناشط المديني لمصائر مئات الآلاف من الفلاحين في بلده، كأن يدعم سياسات وقوانين أفقرت أرجاء واسعة من الريف اللبناني، إمّا لأنه يركّز على مواضيع «أهمّ» (كرفض التمديد و»الثورة على النظام الطائفي»)، أو بسبب مفهوم برجوازي محافظ عن الاخلاق والسويّة، لا ضير من اعتماده والدفاع عنه، ولكن ليس حين يكون الأمر على حساب أضعف فئات الشعب وأكثرها حرماناً.

إلى اليوم، لا توجد دراسات وافية عن التذرّي الاجتماعي والاقتصادي الذي ضرب قرى البقاع والهرمل إثر منع زراعة الحشيشة في التسعينيات، مثلما لا توجد دراسات عن الازدهار الذي أصاب المنطقة، والتنمية المحلية التي نتجت منه، حين كانت باقي أرجاء البلد – للمفارقة – تمرّ في أسوأ مراحل الحرب الأهلية، فتركت الدولة المزارعين في حالهم.

من تاريخ القنّب

في كتابه عن تاريخ القنّب، يقول مارتن بوث (نشر ايضاً كتاباً معروفاً عن الأفيون) أن نبتة الحشيشة هي من أقدم الزراعات التي انتشرت في المجتمعات الإنسانية، بل إن إحدى الفصائل الثلاث الكبرى اليوم للقنّب، «كانابيس ساتيفا»، يعني اسمها باللاتينية «القنّب المزروع»، لأنها وصلت إلينا بنسختها المهجّنة؛ بمعنى أن الانسان القديم قد حرثها وهجّنها لآلاف السنين حتى ضاعت البذرة الأصلية، «البريّة»، ووصلنا الصنف المؤصّل زراعياً.

شاعت زراعة القنّب في القدم لا لمفعوله المخدّر فحسب، والاركيولوجيا تظهر أنّ استهلاك القنب كان يدخل ايضاً في الطقوس الدينية، بل لأن النبتة تملك أهمية اقتصادية، فهي أحد مصادر صناعة القماش والكتان والحبال والزيوت. وهناك نظرية مؤامرة شائعة بين مؤيدي الحشيشة في الولايات المتحدة، تدعي بأن منع زراعة القنب في اميركا ارتبط بنفوذ مصالح الأخشاب، التي أرادت إقصاء القنب كمادة أولية منافسة في صنع الورق.

نجد في التاريخ العربي والاسلامي أيضاً اشارات كثيرة الى الحشيش والقنّب، تظهر شيوعه واستعماله الترويحي في بلادنا عبر الحقبات؛ من كتابات مؤرّخ كالجبرتي (يروي لقاءه بخطيب مسجد في القاهرة تذرّع بأنّه «كان محششاً» لتفسير عدم تركيزه خلال الخطبة) إلى فتاوى ابن تيمية، ناقش «شيخ الاسلام» مادّة الحشيش وانتهى الى تحريمها في أغلب الاستعمالات، ويبدو من تعليله الفقهي أن الناس في عصره كانوا يستهلكون الحشيش إمّا عبر إذابته في الشاي، أو بأكله مباشرة، أو بطبخه في الطعام (اذ لم تكن اميركا قد اكتشفت بعد، ولمّا يصل التبغ الى العالم القديم). غير أن النقاش المطوّل الذي أفرده ابن تيمية في شرح الموضوع، وتفصيله لعلل التحريم، يظهران أن المسألة لم تكن محسومة أو واضحة بالنسبة الى الفقهاء في أيامه.

> يصعب أن تكون البطاطا أو القمح سلعة لبنان التنافسية لإنماء الريف

لبنان والميزة التفاضلية

حتى نفهم سرّ العلاقة المميزة بين لبنان والحشيش، والميزة التفاضلية التي يتمتّع بها سهل البقاع ومرتفعاته في هذا الإطار، يجدر بنا أن نعود الى بعض أساسيات هذه الزراعة. بحسب مارتن بوث، فإنّ «نوعية» الحشيش؛ أي، بمعنى آخر، تركيز المادة الفاعلة الأساسية – الـ«تيتراهايدروكانابينول» - في إناث النبتة، ترتبط طردياً بعاملين اثنين: الارتفاع والشمس. القنّب يحتاج الى كميات كبيرة من الأشعة الشمسية خلال فترة نضجه حتى تكبر النبتة بشكل سريع، كما أنّ نموّ أجزائها التناسلية، التي تحوي المادة الفاعلة، يحتاج الى الأشعة ما تحت القرمزية، التي يزداد تركيزها في الشمس كلما زاد الارتفاع.

بمعنى آخر، فإن القنّب عالي الجودة يحتاج الى أماكن جبلية شاهقة، ولكنها، في الوقت نفسه، حارّة ومعرّضة لشمس حارقة خلال الصيف، وهو ما يندر في العالم. لهذا السبب، تشتهر بزراعة الحشيش مناطق معيّنة تتوافر فيها صفات الارتفاع والشمس معاً، كجبال الأطلس في المغرب، وهضاب افغانستان ... والبقاع اللبناني.

هذه «هبة جغرافية» لا يمكن استنساخها أو شراؤها بالمال، بل هي تقتصر على أقاليم قليلة، محدودة، في العالم (يقول بوث